الفصل السابع

التنظيم الذاتي من تحت

سرب المنظمات غير الحكومية

عندما بزغ فجر العولمة، رأى كثيرون من الناشطين اجتماعياً في التنظيم على النطاق العالمي مشكلة مستعصية. فالمنظمات والمناطق التي تمثلها كانت في معظمها وطنية. وحتى تلك المنظمات التي أوحت أنها دولية كانت في معظم الأحيان مرتبطة ببعضها بعضاً ارتباطاً هزيلاً عند القمة ذاتها بواسطة قيادة صورية، وفي مؤتمر دولي ينعقد في بعض المناسبات.

وتبين لاحقاً، أن ما تتطلبه حركة العولمة من تحت، ليس بنية عالمية ذات مركزية، بل تنظيم ذاتي عالمي من تحت. والحقيقة أن أشكالاً جديدة من التنظيم انبثقت وجعلت الترابط العالمي ممكناً. وهذه الأشكال ليست من بنات أفكار عبقري في التنظيم، بل هي نتاج عمل كثيرين

قاموا به استجابة للوضع الجديد. ويشار إلى شكل التنظيم الذي انبثق في كثير من الأحيان بأسماء مثل المجتمع المدني الدولي، أو المنظمات غير الحكومية، أو شبكات المساندة الدولية[1].

ولاشك في أن مؤرخي المستقبل سيدرسون المقالة الاستثنائية التي نشرتها مجلة «الإكونومست» وروت فيها نشوء الشكل الجديد الذي صار منظوراً في سياتل. جاء في المقالة:

> «إن المنظمات غير الحكومية التي هوت على سياتل كانت نموذجاً لكل شيء لم يكنه المفاوضون على أمور التجارة. فقد كانت هذه المنظمات حسنة التنظيم. وهي أقامت تحالفات غير عادية (إن دعاة حماية البيئة، وجماعات العمال جسروا الفجوات القديمة ليعبروا معاً عن سخريتهم من منظمة التجارة العالمية). وكان لها

(1) كيك وسيكينك «ناشطون وراء الحدود». إن تعبير «المجتمع المدني» يستخدم أحياناً للدلالة على مثل هذا النشاط، ولكنه ربما كان أوسع مما يجب، إذ إنه كثيراً ما يستخدم ليشمل الأسواق، والشركات، وكل شيء آخر يقع خارج الدولة. إن نشوء أشكال من شبكة التنظيم في الحركات الاجتماعية هو الموازي لما يصفه كاستلز بأنه «رأس المالية الشبكية». راجع مانويل كاستلز في «عصر المعلومات: الاقتصاد، والمجتمع والثقافة» ثلاثة مجلدات. (أوكسفورد: بلاكويل، 1999). ثمة صياغة أخرى لتنظيم الحركة الاجتماعية العابرة للدول في المفهوم الذي طرحه موتو إيتشيو لما سماه «تحالف الأمل» في كتاب بريشير «رؤى عالمية» الصفحات 147 ـ 62.

برنامج واضح لإفشال المحادثات، وكانت بارعة في استخدام وسائط الإعلام[2].

ولكن معركة سياتل، كما نوّهت الإكونومست، لم تكن سوى آخر نصر في سلسلة من الانتصارات التي أحرزتها المنظمات غير الحكومية. فقد جاء في المجلة:

«إن الخط الفاصل الحاسم كان ممثلاً في (قمة الأرض) التي انعقدت في مدينة ريودوجنيرو سنة 1992، عندما استنفرت المنظمات غير الحكومية ما يكفي من الضغط الشعبي من أجل تمرير اتفاقيات التحكم بالغازات المسببة للاحتباس الحراري. وفي سنة 1994 سيطر المحتجون على الاجتماع السنوي للبنك الدولي بحملة عنوانها (خمسون سنة تكفي) وفرضوا إعادة النظر في أهداف البنك وأساليبه. وفي سنة 1998 نجح ائتلاف خاص مؤلف من الناشطين في مجال حقوق المستهلك والمدافعين عن البيئة، في المساعدة على إغراق اتفاقية الاستثمار المتعددة الأطراف، وهي مسودة معاهدة هدفها انسجام قواعد الاستثمار الأجنبي تحت رعاية منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية. وخلال العامين الأخيرين نجح ائتلاف آخر عالمي مؤلف من المنظمات غير الحكومية، في يوبيل الألفين، بتخفيض دراماتيكي لديون البلدان الأكثر فقراً».

(2) «النظام غير الحكومي» مجلة الإكونومست 11 ـ 17 كانون الأول/ ديسمبر 1999.

علاوة على ذلك، فإن جدول أعمال المنظمات غير الحكومية ليس مقتصراً على المسائل الاقتصادية. تقول الإكونومست:

«إن أحد أكبر النجاحات في التسعينيات من القرن العشرين كان الحملة الرامية إلى تحريم الألغام الأرضية، إذ نجحت مئات المنظمات غير الحكومية، بالتوافق مع الحكومة الكندية، خلال سنة واحدة في فرض هذا الحظر. وجدول الأعمال ليس مقتصراً على جداول أعمال الحكومة. إلهة النصر استهدفت أوضاع العمال المزرية في المصانع في ما وراء البحار، كمصنع شركة نستله الذي يبيع مسحوق حليب الأطفال في البلدان الفقيرة، وشركة مونسانتو التي تبيع مواد غذائية معدلة وراثياً. خلاصة القول، إن جماعات المواطنين تزداد قوة على مستوى الشركات والمستويين الوطني والدولي».

ومع ان المنظمات من هذا القبيل يعود وجودها على أقل تقدير إلى زمن الحملة الدولية لإلغاء الرق، فإن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية خلال العقد الأخير من السنين قد جعلها تتوالد. تقول الإكونومست:

«بانتهاء الشيوعية، وانتشار الديموقراطية في البلدان الفقيرة، والتبدل التكنولوجي، والاندماج الاقتصادي، أوجدت العولمة، بالاختصار، تربة خصبة لنشوء

المنظمات غير الحكومية. إن العولمة، بحد ذاتها، فاقمت جملة من الهموم: الهموم بشأن البيئة، وحقوق العمال، وحقوق الإنسان، وحقوق المستهلك، وهلم جراً. والدمقرطة والتقدم التكنولوجي أحدثا ثورة في الطريقة التي يستطيع بها المواطنون التعبير عن قلقهم».

التكنولوجية الجديدة ساعدت

عندما صارت الجماعات قادرة على التواصل بالهاتف، أو الفاكس، أو البريد، كانت الكلفة العالية تحول دون تقاسم المعلومات أو بناء صلة وصل بين المنظمات المختلفة. أما الآن فقد صار بالإمكان نشر المعلومات بسرعة وبفاعلية كبيرة بواسطة خدمة (أون لاين). كانت اتفاقية الاستثمار المتعددة الأطراف قد بدأت تواجه مشكلة عندما سمحت مسودة نص، وزعتها منظمة غير حكومية على شبكة الإنترنت، لمئات من جماعات الرقابة المعادية لها، برص الصفوف ضدها. وعلى غرار ذلك، جرى إفشال قمة التجارة في سياتل بواسطة عشرات المواقع على شبكة الإنترنت التي نبهت الجميع ليكونوا على أهبة الاستعداد (ما عدا، كما يبدو، شرطة سياتل) للمشاركة في الاحتجاجات التي كان في النية القيام بها.

بالإمكان بناء ائتلافات جديدة بواسطة (أون لاين). فالكثير من بناء الائتلافات بين المدافعين عن البيئة وجماعات المواطنين مثلاً، تم بواسطة البريد الالكتروني، ووقعت 1500

منظمة غير حكومية أو نحو ذلك بياناً ضد منظمة التجارة العالمية نشر بواسطة خدمة (أون لاين) من قبل حركة (المواطن)، وهي جماعة مدافعة عن حقوق المستهلك. ويقول مايك دولان Mike Dolan، وهو شخصية بارزة في تنظيم الاحتجاجات، إن ذلك كان يستحيل بدون البريد الالكتروني. أهم من ذلك، إن شبكة الإنترنت تسمح بقيام شراكات جديدة بين جماعات في البلدان الغنية والبلدان الفقيرة. فالناشطون في البلدان النامية، الذين تسلحوا بأدلّة قاطعة عن التعامل مع العمال المحليين أو عن تدهور البيئة، حصلوا عليها من المنظمات غير الحكومية في الجنوب، تمكنوا من شن هجوم على الشركات الكبرى بطريقة أكثر فاعلية.

هذه الظاهرة، ظاهرة مجموعات مختلفة الشكل من المنظمات غير الحكومية، وارتباطها بواسطة (أون لاين)، تهوي على هدف ما، قد أطلق عليها لقب «سرب منظمات غير حكومية» من قبل دراسة لمؤسسة (راند RAND أعدها ديڤيد رونفيلدت David Ronfeldt وجون أرغويلا John Arguilla تعامل الحكومات مع جماعات من هذا القبيل يبعث على الرهبة. ويقول الباحثان من مؤسسة (راند) إن سرب منظمات غير حكومية ما، ليس له قيادة مركزية أو بنية قيادية، إنه متعدد الرؤوس ويستحيل أن يكون مقطوع الرأس. وهو قادر أن يلسع ضحية، حتى الموت.

بنية الشبكة

إن جوهر الشكل التنظيمي الجديد ليس ببساطة المنظمة غير الحكومية بحد ذاتها، بل هو ما تسميه العالمتان السياسيتان، مارغريت كيك Margeret Keek وكاثرين سيكينك Kathryn Sikkink «الشبكات المساندة». وتعريفهما للشبكات هو انها «أشكال من التنظيم يتصف بالتطوع، وأنماط تقابلية وأفقية من التواصل والتبادل»[3]. وقد تشمل هذه الشبكات ليس فقط المنظمات غير الحكومية التقليدية، بل أيضاً الحركات الاجتماعية، المحلية والمؤسسات، ووسائط الإعلام، والكنائس، والنقابات، ومنظمات المستهلكين، والمفكرين، وأجزاء من الهيئات الحكومية الإقليمية والدولية، وأجزاء من فروع الدولة التنفيذية و/أو البرلمانية[4].

وتتبادل الشبكات من هذا القبيل المعلومات وتدعم وسيلة اتصال كثيفة بين المشاركين فيها. كما انها تطور لغة مشتركة وتضع إطار المسائل للبحث لدى المشاركين

(3) كيك وسيكينك «ناشطون وراء الحدود» ص 8. لعل شبكات غير رسمية قد لعبت دوراً أكبر في الحركات السابقة مما لعبه الذين يركزون على اعتراف المنظمات الرسمية. راجع بريشير في «اضرب» ص 275 وما بعد.

(4) كيك وسيكينك ص 9.

والجمهور[5]. وحقيقة الأمر أن الشبكات يتم تعريفها في المقام الأول بواسطة أطرها، ويشارك الأفراد والمجموعات بشكل عام في شبكة ما بحدود قبولهم إطارها المركزي.

لقد أصبحت الشبكات الوسيلة الرئيسة التي تم بها تنظيم حملات العولمة من تحت. وهي تعمل في الحملات بطريقة مختلفة عن المنظمات أو الائتلافات التقليدية. قد تكون هناك منظمة قائدة وربما ائتلاف رسمي من المؤيدين، ولكن، من الناحية العملية، ينبثق معظم الحملات العابرة لحدود الدول، من التخطيط ضمن الشبكات، وتقاد من قبلها، في أغلب الأحيان، عبر خطوط تنظيمية رسمية. وهي تتسم بما يمكن تسميته قيادة فريق عابر للمنظمة[6].

قد يكون المشاركون في الشبكة متنوعين جداً وقد

(5) تم تعريف التأطير بأنه «جهود استراتيجية واعية من قبل مجموعات من الناس لإعطاء شكل للمفاهيم المشتركة للعالم ولأنفسهم من شأنها أن تعطي شرعية للعمل المشترك وتحفزه». راجع كيك وسيكينك «ناشطون وراء الحدود» ص 3.

(6) كتب جون غاردنر:

«في بيئة مضطربة وسريعة التبدل، في عالم من الأنظمة المتعددة والمتصادمة، يكون الموقع الفوقي للقادة ضمن أنظمتهم ذا قيمة محدودة، لأن بعض أهم الواجبات الدقيقة تتطلب قيادة جانبية - قيادة عبر الحدود - تتضمن مجموعات ليست لهم سيطرة عليها. جون غاردنر «في القيادة» (نيويورك، المطبعة الحرة، 1990) ص98.

يختلفون على أمور عدة، ما داموا قابلين بإطار التعريف الذي تحدده الشبكة للمسائل التي تعالجها. وبإمكان الأفراد أن يشاركوا فيها مباشرة، سواء أكانوا منتسبين إليها رسمياً عبر المنظمات أم لم يكونوا. ويمكن لشرائح منظمات أن تشارك فيها، وفي الأعمال التي تقوم بها، بينما تظل شرائح أخرى في معزل عنها.

من الشبكة إلى الشارع

إن هناك أمراً موازياً لشبكة المنظمات غير الحكومية على نحو لافت للنظر، هو شكل التنظيم الذي نشأ من أجل معركة سياتل والمجابهات الكبيرة الأخرى مع قوى وإمارات العولمة من فوق. إن ستارهوك Starhawk، وهو ناشط من سان فرانسيسكو في منطقة الخليج، يصف «كيف أقفلنا فعلاً منظمة التجارة العالمية» على النحو الآتي:

> «عندما يفكر المستبدون بالقيادة، ترتسم الصورة في أذهانهم بشكل شخص واحد، يكون عادة شاباً أو مجموعة صغيرة تنتصب وتقول للآخرين ما يجب أن يفعلوا. السلطة مركزية وتتطلب الانصياع.
> «بالمقابل، نموذج السلطة لدينا بعيد عن المركزية، والقيادة موكولة إلى الجماعة ككل. والأشخاص مخولون اتخاذ قراراتهم الخاصة، والبنى ذات المركزية مهمتها التنسيق وليس التحكم..

«لقد جرى تنظيم المشاركين في العمل في جماعات صغيرة تسمى «جماعات الولاء»، وكل جماعة مخوّلة سلطة اتخاذ قراراتها الخاصة بشأن كيفية المشاركة في الحصاد..

«وقد نظمت جماعات الولاء في تجمعات. والمنطقة المحيطة بمركز الميثاق مقسمة إلى ثلاثة عشر قسماً، وجماعات الولاء والتجمعات ملتزمة بالانتساب إلى أقسام معينة. على غرار ذلك، فإن بعض الجماعات هي «جماعات طيارة»، أي أنها حرة في التحرك إلى حيث تشتد الحاجة إليها. كل ذلك تم تنسيقه في اجتماعات الناطقين باسم الجماعات، حيث يكون لكل من جماعات الولاء ممثل مخوّل بالتحدث باسم الجماعة..

«عندما ووجهت الجماعات والأفراد بالغاز المسيل للدموع، ورذاذ الفلفل، والرصاص المطاطي، والخيول، استطاعوا تقييم قدرتهم على الصمود في مواجهة هذه الوحشية. نتيجة لذلك، صمدت خطوط الحصار في وجه عنف الشرطة الذي لا يصدقه العقل.. وما من قائد مركزي كان باستطاعته أن يقوم بتنسيق المشهد في خضم الفوضى، ولم تكن هناك حاجة لأحد. لقد أثبت التنظيم العضوي ذو الاستقلال الذاتي الذي توفر لنا أنه أقوى كثيراً وأشد فعالية..

«إن جماعات الولاء، والتجمعات، ومجالس الناطقين والجماعات العاملة التي كان لها ضلع في (شبكة

العمل المباشر) كانوا يتخذون قراراتهم بالتوافق. وهذه طريقة تسمح بسماع كل صوت وتؤكد احترام آراء الأقلية. والتوافق كان جزءاً من الامتناع عن العنف وتدريبات السجن وقمنا بمحاولة صغيرة لنعرض بعض التدريب الخاص على تسهيل الاجتماع. لم يكن تفسيرنا للتوافق أنه إجماع الأصوات. الاتفاق الإلزامي الوحيد كان على العمل ضمن توجيهات الامتناع عن العنف. فوق ذلك، أوجد منظمو شبكة العمل المباشر توجهاً نحو إعطاء الاستقلال الذاتي والحرية قيمة أعلى من قيمة التماثل، وشدد على التنسيق بدلاً من الضغط كوسيلة للتماثل».

وقد شمل العمل الفن، والرقص، والاحتفال، والغناء، والطقوس والسحر. كان العمل أكثر من احتجاج. كان انتفاضة رؤيةٍ لوفرة حقيقية، واحتفاء بالحياة وإبداعاً وتواصلاً، وبقي مبهجاً في مواجهة الوحشية وأعاد إلى الحياة القوى المبدعة التي تستطيع حقاً أن تجابه قوى الظلم والسيطرة[7].

أسباب القوة التنظيمية

ما يجري تكوينه هو حركة اجتماعية منسقة ومؤلفة من تجمعات ذات استقلال ذاتي نسبي. وهذه الحركة هي بنية

(7) ستار هوك «كيف نقفل في الواقع منظمة التجارة العالمية» الصفحات 36 - 39.

تختلف عن الفئة ذات المصلحة الضاغطة على الحكومة أو عن حزب يجاهد من أجل الحصول على سلطة الدولة. وهي تتنزه عن التمييز الحاد بين المنظمين وعامة الناس.

برهنت بنية الشبكة هذه على أنها ملائمة تماماً لحاجات العولمة من تحت. فقد تمكنت من تشكيل تعاون بين المناطق الانتخابية المختلفة في سائر أنحاء العالم. وسيولتها تكيفت مع سرعة التبدل الهائلة في هذا الزمن[8].

ويحقق شكل الشبكة على مستوى رفيع الكثير من وظائف الحركة المبينة في الفصل الثاني. وهو يسهّل على الناس الذين بدأت تساورهم الشكوك في الوضع الراهن، أن يوحدوا صفوفهم. وبإمكانه تنظيم الانسحاب من الموافقة بأشكال متباينة جداً. وهو شديد المرونة في الربط بين جماعات متباينة على الكثير من المستويات المختلفة.

وشكل الشبكة أيضاً مقاوم لبعض الأفخاخ المألوفة التي تتعرض لها الحركات الاجتماعية والموصوفة في الفصل الثاني. من العسير احتكار تدفق المواصلات ضمن الشبكات أو منع تدفقها عبر الحدود التنظيمية. فالشبكات تقاوم سيطرة القيادة، وقادتها يعتمدون إلى حد كبير على

(8) للاطلاع على نظرة مماثلة، راجع ناعومي كلاين في «مسألة الرؤيا» ذا نيشن 10 تموز/يوليو 2000 الصفحات 18 ـ 21.

الإقناع، بدلاً من الاعتماد على التحكم بموارد المنظمات الشحيحة أو الاعتماد على شكل من إبراز العضلات. (لقد أوجدت حركة العولمة من تحت، حتى الآن، قادة محترمين، ولكن لا يتمتعون بسحر الكاريزما، ناهيك عن كونهم مستبدين). وعندما تنتقل السلطة بواسطة التفويض، فإنها لا تلبث أن ينتهي مفعولها، ولا يتجدد إلا بحضور هيئة ائتمان نشطة. وتبدو قدرة الشبكات على مقاومة الاستيلاء الضيّق الأفق أكثر بكثير من قدرة اشكال المنظمات التقليدية. وهذا الشكل البعيد عن المركزية يسمح أيضاً بإجراء التجارب، ما يعني أن الإخفاقات الكارثية للحركة تصبح أقل احتمالاً.

نقاط الضعف في المنظمات

إن نشوء الشبكات يعكس تدنياً في أهمية أشكال التنظيم التقليدية، وهذا التدني بدوره يعكس إلى حد ما الفردية أو التشرذم في الحياة المعاصرة. وعندما كان الناس يعيشون في الأماكن المتجاورة نفسها ويعملون مدداً طويلة في أماكن عمل جيرانهم ذاتها، ويتشاركون في الثقافة نفسها، كان من الطبيعي أن يشعروا بمصلحة مشتركة وأن ينتسبوا إلى النقابات نفسها، والأحزاب السياسية والمنظمات الأخرى. تعكس الشبكات انهيار هذا النوع من التماثل في

التجمع السكاني، كما تعكس جهداً لتطوير أشكال من الجماعية القابلة للبقاء في مجتمع أكثر تفرقاً.

تتطلب الشبكات مستوى رفيعاً من المسؤولية الشخصية مقارنة مع المنظمات التقليدية. وإنها لمذمة وفضيلة في آن واحد ان هذا الشكل لا يسمح للمرء أن يفي بالتزاماته بواسطة دفع اشتراك سنوي أو صك بما يتوجب عليه دفعه.

ولا تلغي المنظمات غير الحكومية والشبكات بأي شكل عدم المساواة. وعندما يكون الوصول إلى موارد كالمؤسسات، والمتبرعين، والتدريب، ومساندة الأبحاث، واهتمام الإعلام، والمكانة الاجتماعية، غير متساوٍ، فإن الشبكات، كما البنى الأخرى، تميل إلى إعادة توليد عدم المساواة. وهي بالتأكيد لم تلغِ، فوارق القوة بين الشمال والجنوب، أو بين الرجال والنساء.

والشبكة، بعكس المنظمة، ليست لها آلية رسمية لحل الخلاف الداخلي. والكفاح ضمن المنظمة غير الحكومية وضمن الشبكة ليس بالأمر غير العادي. مثلاً، كان هناك نزاع منظور بين الجناحين الشمالي والجنوبي ليوبيل 2000. كما ان التخطيط لمعركة سياتل والتظاهرات الأخرى الرئيسية اشتملت على نزاع كبير. وبما أنه لم يكن أحد مخولاً اتخاذ القرارات باسم الحركة ككل، كان التفاوض يوفر الوسيلة

الوحيدة لمعالجة خلافات من هذا القبيل[9].

لا توجد لدى الشبكات ومجالس جماعة الولاء وسيلة رسمية للإشراف على جماعات من شأنها أن تتعمد إفساد أنشطتها أو لتمييز نفسها عنها. في سياتل، بضع عشرات من الأشخاص هم الذين عبثوا ببضعة دكاكين واجتذبوا اهتمام الإعلام على نطاق واسع وأعادوا تشكيل المفهوم العام لأعمال عشرات الآلاف من المحتجين الذين لم يلجأوا إلى العنف. لقد ألغيت مظاهرة كبرى مشتركة بين دعاة البيئة ونقابات العمال في مطلع سنة 2000 بسبب خلاف حول كيفية التعامل مع احتمال حدوث أعمال تشويش من هذا القبيل.

تستطيع المنظمات غير الحكومية أن تعمل كنخبة جديدة[10]. فهي تملك الخبرة التقنية، والتنظيم، والتمويل،

(9) للاطلاع على مجموعة الإرشادات المقترحة لمثل هذه المفاوضات راجع مقال «احترام الاختلافات بينما نبني التضامن» مجلة زد، كانون الثاني/يناير 2000 الإرشادات قائمة على أساس أعراف التنوع والتضامن وحق الناس في التأثير في القرارات بنسبة تأثرهم.

(10) حسب قول فريدر أوتو وولف، إن حركة المنظمات غير الحكومية في أفضل أشكالها هي بناء جسر يجعل بالإمكان إعطاء صوت للمشاركة السياسية المحلية من قبل الحركات الشعبية في كل مكان.. إن خصائص نهج المنظمات غير الحكومية كحركة مقصودة، إنما تتخذ شكلها في تطور الاتصالات الحقيقية =

وتتصرف بموارد كبيرة. وتقدم المنظمات غير الحكومية حالياً من المساعدات أكثر مما يقدمه نظام الأمم المتحدة بكامله[11].

وبإمكان المنظمات غير الحكومية أن تكون غطاء لخصخصة وظائف القطاع العام. ثم إنها عرضة لعلة، يصفها فريدر اوتو وولف Frieder Ottowolf بقوله «إنها العمل كأداة لانعدام المسؤولية السياسية» عن طريق سماحها للمسؤوليات

= والتحادث، إنما تجعلها تقوم بإسهام جوهري في الفهم المثمر للطابع شديد الإلحاح للمشاكل العالمية التي لا يمكن حلها، ولكنها في سياق كسب المشاركة النشطة والتأييد من الشعوب، من نساء هذا الكوكب الأرضي ورجاله. ولذلك فإنها تساعد في نبذ أوهام «دكتاتورية حل المشاكل» في أشد حالاتها التعسفية التقليدية، وكذلك في أصفى أشكالها التكنوقراطية. إن المبادئ ذاتها للتنظيم الذاتي والتصميم الذاتي في فكرة المنظمة غير الحكومية يجب أن تكون كافية لجعلهم يدركون أن هذه المبادئ لن تكون قادرة على البقاء كميزة لـ «النخبة» الأكثر أو الأقل تعريفاً، وإنما فقط في مجرى توسعها نحو، العوامل الاجتماعية والسياسية المستمرة في اكتساب صفتيهما واستعادتها من قبلها. ان «النخبوية» هي، في الحقيقة، إغراء متكرر ضمن حركة المنظمات غير الحكومية ولكنها غير متلائمة مع مبادئها.

فريدر أوتو وولف، المحاضر في جامعة برلين الحرة، والعضو السابق في البرلمان الأوروبي عن الألمان الخضر «ما وراء الانقسامات القديمة، ولكن في ورطة جديدة» خطاب رئيسي في جولة تايغو 8 تشرين الأول/ اوكتوبر 1999).

(11) «النظام غير الحكومي» مجلة الإكونومست.

الحكومية بأن «ينتقل مصدرها» إلى المنظمات غير الحكومية[12].

ويمكن تكوين المنظمات غير الحكومية أو الاستيلاء عليها من قبل مصالح النخبة وأن تعمل كوكيلة لها. و«المنظمات غير الحكومية التي يقع عليها الاختيار» بهذا الشكل يمكنها أن تقوّض جهود الحركة. وتشمل الأمثلة على ذلك «الاستخدام الحكيم» لجماعات حماية البيئة، والمنظمات غير الحكومية التي تتلقى تمويلها وتأخذ إيعازات سياستها من حكومات الدول أو من منظمات دولية، وتشمل جماعة الكنيسة في منطقة فقيرة مجاورة للعاصمة الأمريكية واشنطن سبق لها أن تلقت مالاً في أواخر سنة 1999 للقيام بتظاهرة تأييداً للمواد الغذائية الخاضعة لهندسة وراثية. ثمة مثل فج بصورة خاصة هو «جماعة سكان الريف» التي أطلقت على نفسها هذه التسمية وتعرف باسم «التعبئة من أجل التفاوض» التي تم تشكيلها في العاصمة الأمريكية واشنطن ضد صندوق النقد الدولي

(12) «لذلك يجب أن تسعى المنظمات غير الحكومية عن وعي تام، المرة تلو المرة، لوضع المؤسسات الممثلة للديموقراطية أمام مسؤولياتها السياسية، بدلاً من أن تصبح متآمرة في فقدان المسؤولية السياسية، أو حتى فقدان الديموقراطية، إلى جانب مؤسسات الدولة». فريدر أوتو وولف «ما وراء الانقسامات القديمة».

والبنك الدولي، والتي انتقدت منظمي التظاهرات، لأنهم في زعمها، استحضروا «الحنين إلى تظاهرة سنة 1960 من أجل إغراء صغار السن وتوريطهم في احتجاجات تخريبية» وأعلنت هذه الجماعة أنها كانت قد حددت موعد اجتماع مع مسؤولين في البنك الدولي[13].

إن شكل الشبكة يطرح مشاكل التمثيل: إذ إن منظمة تمثل شخصاً واحداً يمكن أن تبدو مساوية لمنظمة تمثل 10,000 شخص.

أخيراً، هناك مشكلة المساءَلة وهي مشكلة شاملة. فمن الواضح، ان حكومة تسيطر عليها مصالح الشركات الخاصة أو حزب سياسي مستبد لا يمكن اعتبارها الممثلة الشرعية الوحيدة لشعبها. ولكن، ماذا عن الحركات، أو المنظمات غير الحكومية، أو الشبكات؟ هؤلاء يدعون أنهم الناطقون باسم الذين لا تمثيل لهم، ولكنهم عرضة للاتهام بأنهم «عينوا أنفسهم ممثلين» دون أن يكون لهم حق التحدث إلا باسم أنفسهم.

في نهاية الأمر، لا يوجد حل لهذه المشكلة سوى

(13) بيان صحفي بتاريخ 13 آذار/مارس 2000 موضوعه «التعبئة لمؤتمر صحفي عن المفاوضات يدعو إلى التفاوض مع البنك الدولي وصندوق النقد الدولي».

إعادة تكوين مؤسسات أصيلة في تمثيلها. ولكن الحركات الاجتماعية لا تستطيع الانتظار حتى ذلك الحين، لاسيما أنها بين أوائل الوسائل التي يمكن بواسطتها الترويج لدمقرطة من هذا القبيل. إن ما ينبغي للحركات أن تفعله ـ وما تحاول بصورة عامة أن تفعله ـ هو أن تكتسب تأييد الجمهور عن طريق جعل نفسها ممثلة أصيلة لحاجات ومصالح المناطق الانتخابية في المجتمع. فإذا ما حالفها النجاح، أصبح معظم الناس مؤيدين لما تفعله، حتى ولو لم تكن مخولة رسمياً أن تفعل ذلك.

الشبكات والحركة ككل

قلما تتخذ حركة اجتماعية ما شكل منظمة مفردة. وفيما يبدو أكثر الأحيان كأنه حركة مفردة من منظورٍ ما، يبدو من منظور آخر مجموعة من الحركات والمنظمات المتفاعلة. ويندر أن نجد حركة لا تحتوي على عناصر نزاع في داخلها. ومع ذلك، يمكن اعتبار مفهوم حركة اجتماعية ما ككيان واحد لأن كل عناصرها تتفاعل وتشكل معاً ما هو أكثر من مجموع الأجزاء.

ترى كيف تعمل من الناحية العملية شبكة منظمات؟ من الناحية النموذجية، تتحمل منظمات معينة غير حكومية المسؤولية المستمرة في مسائل معينة، ومجالات اجتماعية

معينة. قد يركز المرء على مشكلة السدود الكبيرة، ويركز آخر على حقوق الإنسان في بلد معين، وثالث على مصانع شركة معينة يستغل فيها العمال أبشع استغلال. هذه المنظمات تستحوذ، إذا جاز القول، على «جبهات ثابتة»، وتحافظ على رقابتها الدائمة على الساحات واللاعبين في مجال اهتمامها. بيد أن تكوين الشبكة يتيح لكميات كبيرة من الموارد البشرية وحتى من الموارد المادية، أن تنساب بسرعة إلى جبهة ناشطة بشكل خاص، الأمر الذي يتيح لـ «قوى مركزة» في «احتياطيات جاهزة» أن تنساب عندما تدعو الحاجة إليها. وعلى غرار ذلك يستطيع الناس التنقل جيئة وذهاباً بين أحداث كبيرة مثل معركة سياتل ونضالاتهم ومسؤولياتهم اليومية في أماكن وقطاعات معينة.

إن مستوى الوحدة المدهش الذي ميّز حركة العولمة من تحت قد تحقق بدون تنظيم مركزي، على المستوى الوطني أو على المستوى العالمي. إنها مؤلفة في المقام الأول من جماعات مختصة بمسائل معينة قاعدتها محلية أو وطنية، ومنظمات ربط عابرة لحدود الدول، وعمل شبكي واسع يتم عبر الإنترنت. ويبدو من غير المحتمل أن تنشئ حركة عالمية متنوعة من هذا القبيل، منظمة أو قيادة مركزية، بل يجب الحفاظ على الوحدة وتعميقها بأساليب أخرى.

إن أقوى قوة محققة للوحدة هي ضغط الناشطين من عامة الناس الذين يفهمون الوحدة ويريدونها. والإنترنت يتيح لهم أن يشكلوا شبكة عبر خطوط المنظمة والضغط على القادة والمنظمات لإبقائها موحدة.

بعض الخطوات اللاحقة لتطوير التنظيم

هنالك مبادرات كثيرة من شأنها، بالتجانس مع الشكل العام للشبكة، أن تحقق مزيداً من تكيُّف الشبكة مع حاجات العولمة من تحت ككل:

- إيجاد أمكنة لمناقشة الأهداف بعيدة المدى وبيانها بطرق معزولة عن القرارات التكتيكية الآنية بحيث لا تقرر الحاجات التكتيكية قصيرة الأجل الطريقة التي تحدد الأهداف بعيدة المدى. والمباحثات المشابهة يجب أن تضم جميع الذين ستدعو الحاجة إليهم في نهاية الأمر لتحقيق أهداف الحركة.
- إيجاد وسائل للنقد الذاتي للحركة من جانب المشاركين فيها.
- تقوية المنظمات الرابطة التي توحد بين مختلف أجزاء الحركة.
- تطوير وسيلة لمنح الشرعية أو حجبها عن الذين

يتصرفون كممثلين للحركة في سياقات محددة، مثل الأحداث التنظيمية، وعرض الأوضاع على الجمهور أو التفاوض مع ممثلي قوى ومؤسسات أخرى.

• فتح آفاق تتيح لجماعات جديدة من الناس للارتباط بالحركة أو الاشتراك فيها وفق شروط مقبولة لديهم.

• إيجاد وسائل تسمح لجماعات ريفية في العالم بإنشاء ارتباط مباشر بوساطة أقل من جانب المنظمات غير الحكومية، على سبيل المثال بتأمين الدخول على شبكة الإنترنت وتأمين التدريب للجماعات التي أصيبت بالفقر.

• تطوير وسائل الارتباط دولياً بحركات الاحتجاج الكبيرة التي تمثلها حركات الإضراب الوطنية العامة والشاملة.

• إقامة يوم سنوي وأسبوع سنوي للأحداث المشتركة في سائر أنحاء العالم لإظهار التحرك العالمي من أجل العولمة من تحت، بكل تنوعه، وإظهار هذا التحرك أمام ذاتها وأمام العالم[14].

(14) عيد أول أيار/مايو كان ذات يوم مناسبة للحركة العمالية في العالم وأسهم في مفهوم قيام حركة عالمية مشتركة. لقد تبدلت من رمز للوحدة إلى رمز لانعدام الوحدة في سياق الحرب الباردة، بينما يوم أول أيار/مايو وعيد العمال كانا يرمزان إلى الفئات المتناحرة ضمن الحركة =

. . . . . .

= العمالية في العالم. إن عمليات التعبئة في فصل الربيع داخل الولايات المتحدة التي بدأت في عصر الحرب الڤيتنامية واستمرت بعده سنوات كثيرة قد وفرت تركيزاً مماثلاً. إن إحياء أول أيار/مايو بتاريخه القوي كاحتفال بيئي واحتفال عمالي، يبدو أنه هو الحاملة الواضحة. في أيار/مايو 2000 نظم البابا، بدعم من النقابات الإيطالية، مهرجاناً بمناسبة أول أيار/مايو وحفلاً موسيقياً مخصصاً للتضامن العالمي. وأمام هذا المثال، قد تتمكن حتى الحركة العمالية في الولايات المتحدة من التغلب على نفورها من أول أيار/مايو الذي لازمها في الحرب الباردة.